الخليج وتهمة «صفقة القرن»

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

هناك تهمة مستهلكة بشأن دور خليجي مزعوم خلف تصفية القضية الفلسطينية، وأن قيادات السعودية والإمارات ساعدت على هندسة هذا المشروع الذي يقلّص حقوق الفلسطينيين ويضاعف مكاسب الإسرائيليين، وسوى ذلك من التهم الملفقة الجوفاء، التي اعتادت عليها الأذن الخليجية من الزعامات المنبرية التي تلحّ بالشعارات المهلهلة وتقضم فتات الأيديولوجيات المهزومة.

وكأن الرياض وأبوظبي أو سواهما من العواصم الخليجية تملك الأرض لتبيعها أو تقايض بها، رغم تأكيد رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس المتكرر على قطعية العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز وموقف بلاده الثابت تاريخياً مع حقوق الفلسطينيين الكاملة وأسبقية رضاهم عن أيّ خطوة ودعم خياراتهم وعدم النيل من حقوقهم تحت أيّ ظرف أو ضغط أو تسويف.

لكن جماعة من المحرضين، ومن بينهم فصائل فلسطينية مرتهنة لأوامر لاعبين إقليميين يزايدون على حرّاس القضية ويستنزفون مصداقيتها، لا يكفون عن تلفيق الأباطيل وتوزيع التهم وإلصاق العيوب بالعواصم النزيهة في ظل حالة الاستقطاب التي تشهدها المنطقة بين عواصم الاستقرار والاعتدال والمستقبل المتفائل وبين رعاة الفوضى وزعماء الأيديولوجيا المشوهة.

تصدّر رجب طيب أردوغان هذه الحملة الممنهجة، بهجوم فجّ على السعودية وحشرها بطريقة تعسفية في كلامه العنتري، حول صفقة القرن، ولام الرياض على عدم اتخاذ موقف، رغم أنها لا تجمعها بإسرائيل أيّ علاقة أو مشتركات كتلك التي تجمعها بأنقرة وأردوغان خصوصا، لكنه يحجب حقيقة صلته بالحكومة الإسرائيلية بغبار المعارك الكلامية، التي يفتعلها ويشبع غرور أنصاره وأشياعه المستسلمين تماماً لسياساته والمنخرطين في الترويج لرمزيّته المتوهمة.

قدمت الخارجية السعودية بياناً معتدلاً في موقفها من العرض الأميركي المسمّى صفقة القرن، شددت على ثوابت ما تتبناه تجاه حقوق الشعب الفلسطيني، الذي لا يمكن التساهل بها، وعلى رغبتها في إنهاء الصراع الذي استنزف المنطقة وضاعف من متاعب شعب أعزل تكالبت عليه الظروف والمزايدون على حقه الطبيعي في العيش والكرامة والاستقلال.

وأكدت دعمها مع بقية عواصم الاستقرار أيّ تحريك لركود مياه القضية، وأيّ انفراجة يمكن أن تعيد الحياة إلى الملف بعد عقود من الإهمال والتأجيل والتجاهل.

هذا لا يعني بأيّ حال الضعف والتنازل عن حق فلسطيني حتمي، لا يملك أحد الخيار أو القرار في البتّ بأمره دون أهل الشأن وبمعزل عن أصحاب القضية. وقال وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية أنور قرقاش قولاً فصلاً في هذا السياق، بأن الدعم العربي والإيمان بعدالة القضية الفلسطينية رصيد إيجابي يعوّل عليه ولا يجب أن يهدر، لكنه لا يكفي لتغيير موازين النفوذ والقوة، فلا تمكن مواجهة الموقف التفاوضي إلا بموقف تفاوضي مقابل، وما يتمّ عرضه نقطة انطلاق ولا يعني بالضرورة قبوله، وتبقى السياسة فنّ الممكن.

ويبدو أن دول الاعتدال العربي تأمل في استثمار جدية الرئيس دونالد ترامب لتحرك الجمود، الذي اعترى القضية الفلسطينية، وإحراج تعنت إسرائيل الدائم في وجه كل العروض المقدمة، والعنجهية التي أصبحت طاغية في سلوكها وردّات فعلها، من أجل إعادة القضية الفلسطينية إلى واجهة الأحداث بعد أن توارت خلف ركام الفوضى والمشكلات المستعصية، التي تسبب بها رعاة التطرف ومقوّضي الاستقرار وزعماء العنتريات.

ويبدو أيضا أنها تأمل في قطع دابر الانتهازيين، الذين يستثمرون في أوجاع شعب مغلوب على أمره لتحقيق أغراضهم السياسية ومآربهم الوصولية. وتسعى لوقف عمليات التزييف والالتفاف على القضية الأعقد في واقعنا المعاصر وإنهاء عقود من الاستنزاف والاستهلاك، الذي أخّر حق شعوب المنطقة في التنمية والاستقرار.

ولايتي «يقاوم» والصدر «ينظف»

زهير قصيباتي
كاتب وصحافي لبناني

بداهة، لم تعد سياسة التذاكي التي تناور بها إيران تخدع أحدا. بداهة أيضا أنّ لا خيط ولو رفيعا بين أهدافها وتحرك أدواتها أو تحريكها كلما أرادت تسجيل هدف ينسجم مع مشاريعها، رغم ما ألحقته بها العقوبات الأميركية، باعتراف الرئيس حسن روحاني. لكن ما يثير الصدمة هو الإصرار على الخداع، وتوهّم الغباء لدى كل الذين دفعوا أثمانا باهظة لنهج إيران الساعي إلى إمبراطورية "خط المقاومة من طهران إلى بغداد ودمشق وبيروت".

رغم كل ما حصل منذ قتل الأميركيين قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني والمواجهة الأميركية الإيرانية في العراق، واضح أن الرهان في طهران ما زال على سحب واشنطن قوّاتها من العراق "طوعا أو بالقوة"، كما يتوعد علي أكبر ولايتي.

الأكيد أيضا أن ترويج أنباء عن بدء الانسحاب الأميركي، ما هو إلا تكتيك إيراني لتذكير السلطة العراقية بأن عليها تنفيذ تبني الكتل الشيعية في البرلمان قرار إخراج تلك القوات، كثمن لمقتل "القائد سليماني الذي لم يكن يسعى سوى إلى الاستقرار والهدوء في المنطقة"!

ترويج أنباء عن بدء الانسحاب الأميركي، ما هو إلا تكتيك إيراني لتذكير السلطة العراقية بأن عليها تنفيذ تبني الكتل الشيعية في البرلمان قرار إخراج تلك القوات

العبارة لروحاني نفسه، الذي يتوهم أن شعوب المنطقة تناست ما فعله قائد الفيلق، لزرع ميليشيات تفكك دولا، أو تستبيح دماء مدنيين كما تفعل في العراق واليمن.

أهي صدمة أن يتحوّل سليماني إلى رجل سلام؟

الأصح أن تكون تلك "الأعجوبة" ضمن معزوفات الخطاب الإيراني، ولم يمض وقت طويل بعد على استعجال طلب الحوار مع دول الخليج، خصوصا السعودية والإمارات، وقبلها لم يكن مضى وقت على تجديد تحريض طهران لميليشيات الحوثيين، فهددوا السعودية والإمارات بضربات نوعية.

كل الإشارات الإيرانية، إن كانت توحي بشيء، فهو حتما ليس الانقلاب على سياسة تصدير ثورة النظام، بل الانحناء التكتيكي أمام مفاعيل العقوبات وخسارة التردد الأوروبي الذي بات يحاكي التشدد الأميركي.

وما يداني الصدمة وجهها الثاني العراقي، الذي بات يمثله بامتياز مقتدى الصدر زعيم تحالف "سائرون"، إذ يسير بالعراقيين إلى مزيد من المذابح، وهو تارة يتضامن مع الثوار وتارة يغزو ساحاتهم، إنما من أجل "تنظيفها"!

من يقتدي بمقتدى في حرصه على "تطهير" ساحات المحتجين الذين قدموا ستمئة شهيد؟

تارة ينصّب الصدر نفسه كأنه "أبو الثوار"، وأخرى يرسل شبيحة ميليشياته لمطاردتهم بالعصيّ والسكاكين. ما يثير صدمة فعلية هو انحدار الخطاب السياسي لزعماء ميليشيات في العراق، لم يلقنهم شيئا الجلوس على مقاعد ممثلي شعب اختارهم ليخدموه، فاغتالوا كرامته باقتسام البلد ونهب ثرواته، بحماية العمامة الإيرانية.

"تنظيف" ساحات الشهداء، عبارة لم تعد تبطن شيئا بعد كل ما أفصح عنه من يدّعي الحرص على سيادة العراق ورفض التدخلات الأجنبية. كأن تدخلات إيران ووصايتها عراقية. كأن مقتدى لم يع درس الثورة التي نادت بخروج الإيراني والأميركي.

ولايتي "يقاوم" وسليماني "رجل سلام" ومقتدى الصدر "ينظف"! كل ما يقوله المنتفضون في العراق إنّ ساعة الحقيقة حانت، وإن إعادتها إلى وراء، على عقارب إيرانية، باتت مكلفة جدا لطهران وأدواتها.

أما "المندسّون" الذين يؤرّقون الصدر، فيندفع لقتل الثوار بحثا عن الأفعى، فلعلهم يطمئنون إلى جحيم تهديده لرئيس الوزراء المكلف محمد علاوي، إذا اختار وزراءه من أحزاب المحاصصة! والجواب لفهم المعادلة والأهداف السحيقة لمقتدى، عند "أبو" المحاصصة، وصاحب مهمة "تنظيف" ساحات الشهداء.

خطة ترامب في ارتجاعاتها العربية

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

يرمز الذي حدث للمنصف البعتي، مندوب الجمهورية التونسية لدى الأمم المتحدة، إلى مأزق النظام العربي حيال خطة ترامب لتسوية النزاع الفلسطيني الإسرائيلي. فما حدث، يعكس واقع التعارض بين العديد من صيغ الخطاب السياسي من جهة، ومعطيات العمل السياسي على الحلبة الدولية، بشروطه وأسقفه وعناصر فاعليته، فضلاً عن أوضاع كل بلد ونظام، على أصعدة الاقتصاد والأمن ومسائل الاستقرار والنزاعات وغير ذلك.

كانت صيغة الخطاب المعلن في إطار جامعة الدول العربية، متاحة بحكم ما استقر عليه منطق الصياغات في هذا الإطار، وأهم عناصره في الغالب، هو الإجماع على كل صيغة مع اختلاف سياسات الدول الأعضاء. وفي حالات استثنائية كانت الغالبية تكفي، ويستوعب إطار "الجامعة" قليلاً من التحفظات. لذا كان يسيراً أن تعتمد الصيغة المنحى النقدي للخطة الأميركية، والتأكيد الحاسم على أن حلّ القضية الفلسطينية لن يكون بغير الالتزام بمحددات مرجعيّتها الدولية، لضمان حقوق الشعب الفلسطيني، المنصوص عليها في مقاربات التسوية خلال قرابة نصف قرن!

غير أن إعفاء المنصف البعتي من مهمته، في لحظة الذروة، يقدم مثالاً لاصطدام الخطاب الأيديولوجي مع الخطاب السياسي، ويُعجّل في اختبار قدرة الخطاب الأول على اكتساب مفاعيله في الممارسة السياسية، علماً أن رئيس الجمهورية التونسية، كان قد طرح خطاباً ذا وعود قصوى، يتجاوز في "أصوليّته" ما يتحدّث به خطباء المساجد الذين امتلكوا حريتهم في أحاديث الحتميات. ومثل هذه الخطابات، سرعان ما ينكشف عجزها، عندما تغشى منابر العمل السياسي والديبلوماسي، وتفتح أبواب السجال والمقارنات بين ما قيل وما جرى أو ظهر في لحظة الاختبار.

ينبغي ألاّ يختلف اثنان، على أن صفقة ترامب لم تكن هي ما يتمناه العرب وينتظرونه، بخلاف ما ذهب إليه إعلام "الإخوان" ومؤيدوهم، عندما اتهموا دولاً عربية، جزافاً، بأنها تواطأت أو ساعدت على خروج صيغة الخطة بالشكل الذي خرجت به، أو شاركت في إعدادها. ذلك على النحو الذي يلائم ويُغذّي فكرة "الخيانة" التي هي الاتهام الأثير في لغة الجماعة. بل إن "خبراء" هذا الإعلام لا يجهلون أن التأويلات والاتهامات الجزافية، تساعد صفقة ترامب ولا تسهم في إحباطها، لأنها تشيع مُناخاً من الشك واليأس، وتعزّز فكرة الانهيار. وكأن "الإخوان" وتركيا الأردوغانية ونظام قطر، قادرون على رفع الهمم واستعادة اليقين وملء الفراغ الذي يتركه الهاربون المفترضون من مسؤولياتهم!

مقدمات خطة ترامب، على مرّ أكثر من سنتين، وُوجهت بموقف عربي معترض على سياقها قبل أن تظهر. وأكدت المواقف العربية، وهي أصلاً راعية صيغ الاعتدال والتسوية وفق المرجعيات الدولية؛ على أن الحل الدائم والقابل للحياة، هو ذلك الذي لا يجيز ضم أراض فلسطينية ويترك للفلسطينيين الأراضي المحتلة في العام 1967 لإقامة دولتهم المستقلة، وعاصمتها القدس الشرقية التي يعيش فيها ربع مليون فلسطيني. وكان الموقف العربي، هو سبب عودة جاريد كوشنر من ورشة البحرين، محبطاً وفاشلاً.

الناظر الآن إلى بنود الصفقة، يعلم يقيناً أن الطرف الوحيد الذي استشير

في بنودها وشارك في صياغتها هو بنيامين نتنياهو وحده!

معلوم أن هذا الأخير؛ يلعب بورقة اتصالاته العربية ويبالغ فيها ويضفي على بعضها منزوع السياسة، طابعاً سياسياً، وله في ذلك أسبابه الداخلية. ومن المفارقات أن ما يباهي به نتنياهو لا يقتصر على دولة عربية بعينها، تكون قد استضافت مسابقة رياضية أو مؤتمراً دولياً شاركت فيه إسرائيل. فما يحدث في الإمارات يحدث في قطر وما يحدث في الأخيرة ويحدث في تركيا لا يحدث في السعودية، لكنّ الرّواج المراد في إعلام "الإخوان" يعتمد مبدأ التمييز دون سند إلا التأويل واختراع السيناريوهات التي يتلقّفها السُذج والتابعون وكأنها حقائق، بل إن المفارقة الأطرف، هو إعفاء دول أخرى، بعضها أبرم معاهدات مع إسرائيل ويقيم علاقات ديبلوماسية معها، من فكرة المؤاخذة حتى دون وداد بينها وبين "الجماعة". فهذه تتحصل على الإعفاء سواء كانت راعية للجماعة، كتركيا الأردوغانية، أو كانت على غير ذي وداد، كالأردن. هنا تتجلى ذميمة الرياء أو التلميح دون التصريح، بينما في تناول سياسات بلدان أخرى، تتمادى تجليات الهجاء بالتأويل والسيناريوهات المفبركة.

نحن هنا لا ندافع عن موقف أيّ طرف، لكننا ننوه إلى وجود قضية مركزية وذات طابع تاريخي مشحون بالمقدس. والأجدر بمن يتخذون منها موضوعاً للسجال في سياق صراعات المحاور، أن ينظروا أولاً في المشهد، وأن يتحلّوا بالأمانة ومنطقية التحليل توخياً للصدقية، أو أن ينظروا إلى أنفسهم في المرآة، وأن يراجعوا أنفسهم وسياسات أصدقائهم، بدل أن يلوذوا إلى الصمت المعيب!

للأسف لم تجد الحال الفلسطينية المتشظية، التي تُعدّ اليوم نقطة الضعف في الموقف العربي الرافض لصيغة ترامب؛ من يعالجون أمراضها بجهد جماعي عربي ضامن لاستعادة الطيف الفلسطيني وحدته على أساس استراتيجية عمل وطني واحدة. فالمصريون بجهدهم المُقدّر، يؤدّون ما عليهم في طريق غير مُعبّد، سقفه التهدئة واحتواء التداعيات على خط التصعيد ضد غزة ومنها. لكن فرصتهم في أداء دورهم، تعالج في كل مرة المشكلة بمنطق نتائجها وليس بمنطق أسبابها، حتى أصبحت تقتصر على التفاهمات بين إسرائيل وحماس وحسب، وليس بين السلطة وحماس.

لقد أعيت المصريين المحاولات على هذا الصعيد، وسبب الإخفاق هو دخول العامل القطري على الخط. فلقطر علاقات قوية مع حماس وعباس، لكنها معنية باستبقاء خصومتهما، وهذا نابع من حرصها على إفشال المصريين، إذ يهون الانقسام الفلسطيني في حساباتها، إذا كان الوفاق سيساعد مصر على تعزيز قبضتها على سيناء واستعادة دورها الإقليمي!

حتى الآن، لم يتحرك الطرفان الفلسطينيان، المتسبّبان في فصل غزة عن الضفة، خطوة واحدة لاستعادة وحدة الكيان الفلسطيني والموقف السياسي الرافض لخطة ترامب. أما الطرفان اللذان يملكان إلزام الطرفين، وهما قطر وتركيا، اللذان يمتلكان علاقات قوية مع حماس وعباس، فلا يكترثان لمصيبة الانقسام الفلسطيني، علماً بأنهما صاحبا الموقفين النظريين، الأشد بلاغة في رفض الصفقة. وهنا، مرة أخرى، يتبدى التعارض بين الخطاب والممارسة!

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk